

خطبه الجمعة - الخطبة ٠٣٢١ : خ ١ - هل ننئكم بالأخرين أعمالا ، خ ٢ - الأوعية الدموية وما يجري فيها.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٠-١١-٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهدى لو لا أن هدانا الله ، وما توفيق ولا اعتصامي ولا توكلني إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته ، وإرغاماً لمن جحد به وكفر ، وأشهد أنَّ سيدنا محمداً صلَّى الله عليه وسلم ، رسول الله سيدُّ الخلق والبشر ، ما اتصلت عينُ بِنَظَرٍ ، أو سمعت أذنُ بِخَبْرٍ ، اللهم صلَّ وسلِّمْ وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذرِيَّته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا من يستمعون القول فيتبعون أحسنَه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

أخطر ما في الحياة أن يجهل الإنسان لماذا هو فيها :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ في أواخر سورة الكهف آيةٌ كريمة يَجْدُرُ بنا أن نقف عندها قليلاً ، يقول الله سبحانه وتعالى في أواخر سورة الكهف :

﴿ قُلْ هُلْ ننَبِّئُكُمْ بِالْأَخْرِيْنَ أَعْمَالًا * الَّذِيْنَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُوْنَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُوْنَ صُنْعًا ﴾

[سورة الكهف : ١٠٣-١٠٤]

الله سبحانه وتعالى خلق السموات والأرض ، ولم يدع خلقه مُعطلين من الأمر والنهي ، نقتضي رحمته جل جلاله أن ينزل علينا كتبًا ، وأن يبعث فينا رُسُلًا ، فمن مقتضيات رحمة ربنا سبحانه وتعالى أن أرسل إلينا رسولاً ، وقد أمر هذا الرسول أن يقول لنا : قل ، إن الله عز وجل خلقنا لهدفٍ كبير ..

﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾

[سورة هود : ١١٩]

فأخطر ما في الحياة الدنيا أن يجهل الإنسان لماذا هو في الدنيا ، فالله سبحانه وتعالى يأمر النبي عليه الصلاة والسلام أن يخاطب الناس ، وكلّم يعلم أن الناس يخاطبون بأصل الشريعة ، بينما يخاطب المؤمنون بفروع الشريعة ..

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

[سورة التحريم : ٦]

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُبُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾

[سورة التور : ٣٠]

إذا آمنت بالله عز وجل ، وأيقنت بعظمته ، وعرفت أسماءه الحُسْنَى وصفاته الفُضْلَى ، الآن أنت معنِّي بكل آية ، يقول الله عز وجل فيها :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

[سورة التحريم : ٦]

أما إذا خاطب الله الناس كافَّةً :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾

[سورة البقرة : ٢١]

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

[سورة يونس : ١٠١]

ربنا سبحانه وتعالى يخاطبُ الناس :

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ﴾

[سورة الكهف : ١٠٣]

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ من يستحق أن يُنَبِّئَكَ ؟ إنسانٌ مثلك ؟ إنسانٌ جاحدٌ مثل عامة الناس ؟ من يستحق أن تستمع إلى نبئه ؟ إلى خبره ؟ إلى أمره ؟ إلى نهيه ؟ إلى وعده ؟ إلى وعيده ؟ إنه الله عز وجل ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾

[سورة فاطر: ١٤]

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَبْلَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾

[سورة الكهف: ٢٨]

﴿وَاتَّبَعَ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيْيَ﴾

[سورة لقمان : ١٥]

الله وحده هو المستحق للعبادة :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ قبل أن يسأل الإنسان غيره ، قبل أن يستهدي بهدفي غيره ، قبل أن يسترشد غيره ، ليعرف من هذا الإنسان الذي يسترشده ؟ من هذا الإنسان الذي يستصحبه ؟ من هذا الإنسان الذي يستهديه ؟ الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيْهَا الْجَاهِلُونَ﴾

[سورة الزمر : ٦٤]

هل هناك جهةٌ غير الله تستحق أن تُعبد ؟ تستحق أن يُستجاب لها ؟ تستحق أن تُسترشد ؟ الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿قُلْ هَلْ نَنْبَئُكُمْ﴾

[سورة الكهف : ١٠٣]

وفي آية أخرى :

﴿وَلَا يُنَبِّئُكُمْ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾

[سورة فاطر : ١٤]

كُلُّما عرفت الله عز وجل معرفةً أرقى ، كلما آمنت برحمته عندما أرسل رسله ، وكلما دقت في القرآن الكريم عرفت أن هذا الكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، إنه تنزيلٌ من رب العالمين ، الله سبحانه وتعالى يقول لنا :

﴿قُلْ هَلْ نَنْبَئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ﴾

[سورة الكهف : ١٠٣]

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ متى يخسر التاجر ؟ في أحسن الظروف إذا هبطت أرباحه عن طموحاته ، يقول : خسنا . وهذا كلام غير صحيح ، وقد يخسر أرباحه كلها ، يخسر جهده إذا ، إذا حصل رأس المال يكون قد ضيّع جهده ، يقول : لقد تعينا كثيراً ولم نربح شيئاً . ماذا خسر هذا التاجر ؟ جهده ، اسمه خاسر ، وقد يخسر جزءاً من رأس المال ، اسمه خاسر ، وقد يخسر مُعظم رأس المال ، اسمه خاسر ، وقد يخسر كل رأس المال ، اسمه خاسر ، ربنا عز وجل يقول :

﴿قُلْ هَلْ نَنْبَئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾

[سورة الكهف : ١٠٣]

الأخسر شيء و الخاسر شيء آخر ، الخاسر اسم فاعل ، أما الأخسر فاسم تفضيل ، أي أشد الناس خسارة ، أفحهم خسارة ، أعظمهم خسارة . . .

﴿قُلْ هَلْ نَنْبَئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾

[سورة الكهف : ١٠٣]

الخسارة العظيمى أن تأتى إلى الدنيا و تغادرها صفر اليدين :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ ربنا عز وجل حينما خلقنا فطرنا فطرة خاصة ، فطرنا على حب وجودنا ، وفطرنا على حب سلامه وجودنا ، وفطرنا على حب كمال وجودنا ، وفطرنا على حب استمرار وجودنا ، ما منا واحد إلا ويتمنى أن يكون سعيداً ، موفقاً ، ناعماً ، سليماً ، معافىً ، وأن يعيش عمراً مديداً ، هكذا فطرة الإنسان .

الله عز وجل يقول : هؤلاء الذين يفعلون كذا وكذا ليسوا خاسرين ، لأن التاجر إذا خسر كل ماله بإمكانه أن يبدأ من جديد ، وأن يعواض هذه الخسارة ، وإذا خسر بعضاً من رأس المال يعواض هذا البعض ، وإذا خسر جهده معه رأس المال ، وإذا قلت أرباحه في العام القادم يضاعف أرباحه ، ولكن الله عز وجل وصف هؤلاء الذين يخاططهم بأنهم أخسرون ، أي أشد الناس خسارة ، يبدو أن خسارتهم لا تتواء ، يبدو أنهم استفدو فرصة وحيدة لن تعود ، هذه الخسارة ، هذه الخسارة

العُظَمَى ؛ أَن تأتي إِلَى الدُّنْيَا ، وَأَن تغادرُهَا وَمَا عرَفْتَ لِمَاذَا خَلَقْتَ ؟ وَلَا مِنْ أَجْلِ شَيْءٍ خَلَقْتَ ؟ اسْتَهْدِي بِشَهْوَاتِكَ ، وَلَمْ تَسْتَهِدْ بِأَمْرِ رَبِّكَ .

ضلال السعي أساسه ضلال العقيدة :

يَا أَيُّهَا الْأَخْوَةِ الْمُؤْمِنَاتِ ؛ وَصَفَ كَبِيرٌ كَبِيرٌ ، خَطِيرٌ خَطِيرٌ مِنْ رَبِّ الْعِزَّةِ وَالْجَلَلَةِ ، يَقُولُ : هُؤُلَاءِ الْأَخْسَرُونَ أَعْمَالًا . وَقَدْ وَصَفَ بَعْضُ الْمُفَسِّرُونَ : الْأَخْسَرُونَ يَنْبَغِي - بِحَسْبِ قَوَاعِدِ الْلُّغَةِ - أَنْ يَأْتِي بَعْدَهَا اسْمٌ مُفَرِّدٌ ، قَلْ هَلْ نَبَئْكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ؟

﴿قُلْ هَلْ نَبَئْكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾

[سورة الكهف : ١٠٣]

أَيُّ أَنَّ هَذَا الْإِنْسَانُ إِذَا لَمْ يَعْرِفْ الْوَاحِدَ الْدِيَانَ ؛ كُلُّ أَعْمَالِهِ مِمَّا كَثُرَتْ ، مِمَّا تَوَوَّعَتْ ، مِمَّا امْتَدَتْ ، مِمَّا كَبُرَتْ ، مِمَّا عَظَمَتْ فَهِيَ خَسَارَةٌ مُحَقَّةٌ ، خَسَارَةٌ لَا تَعُوضُ ، خَسَارَةٌ لَا تُسْتَأْنَفُ ..

﴿قُلْ هَلْ نَبَئْكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾

[سورة الكهف : ١٠٣]

فِي مسْعَاهُ ، فِي تِجَارَتِهِ ، فِي عَلَاقَاتِهِ ، فِي نَشَاطَاتِهِ ، فِي مُنْجَازَاتِهِ ، فِي لَهُوَهُ ، فِي جِدَّهُ ، فِي إِقَامَتِهِ ، فِي سَفَرِهِ ، فِي أَعْمَالِهِ التِّجَارِيَّةِ ، فِي أَعْمَالِهِ الصَّناعِيَّةِ ، فِي خَطُورَةِ تَحْصِيلِهِ ..

﴿قُلْ هَلْ نَبَئْكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾

[سورة الكهف : ١٠٣]

من هُؤُلَاءِ يَا رَبِّ ؟

﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

[سورة الكهف : ١٠٣]

ضَلُوا .

﴿ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾

السعي ؛ العمل ، الحركة ، نشاط الإنسان على وجه الأرض ، حركته اليومية ، انطلاقه من بيته ، كسبه لرزقه ، علاقاته بالآخرين ، صلاته ، غضبه ، رضاه ، منحه ، منعه ، هذه الحركة اليومية . الإنسان يتحرك ، هذه الحركة اليومية ؛ إما لكسب رزقه ، أو لتحقيق أهدافه ، أو لإمتاع شهواته ، أو لشفاء غليله ، أو لتحقيق ذاته ، إن هذه الحركة اليومية ضالة ، لماذا ؟ هنا يأتي دور بعض المفسرين فيقولون : إن ضلال السعي أساسه ضلال العقيدة ، ما من عقيدة منحرفة إلا ويقابلها سعيًّا منحرف ، العلم أساس العمل ، العمل هو الأساس ، ولكن أساس العمل هو العلم ، لذلك كما قال عليه الصلاة والسلام :

((طلب العلم فريضة))

[ابن ماجه عن أنس بن مالك]

فريضة عينية - كما نصّ العلماء عليها - عينية ، هذا الذي يقول : أنا عندما أجد وقتاً فارغاً أحضر مجالس العلم ، لا ، إن طلب العلم فرضٌ عينيٌّ ، يجب أن تعرف هذا الكتاب ؛ ماذا أمرك الله عزّ وجلّ ؟ وعن ماذا نهاك ؟ وبماذا وعدك ؟ وبم أوعدك ؟ وأين آياته ؟ وأين شرعيه ؟ وأين أمره ؟ وأين نهيء ؟ هكذا .

من بنى على اعتقاداته الخاطئة سعيٌ خاطئ ضيع الدنيا والآخرة :

يا أيها الأخوة الأكارم :

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾

[سورة الكهف : ١٠٣-١٠٤]

قد تجد أمماً ، وشعوبًا اعتقدت اعتقاداتٍ خاطئة ، فبني على اعتقاداتها الخاطئة سعيٌ خاطئ فضيعوا الدنيا والآخرة ، ترى عملاً جباراً وراءه عقيدةٌ فاسدة ، تقول : يا خسارة هؤلاء ، اعتندوا عقيدةً فاسدة فعملوا الأعاجيب ، ولكن هذه الأعمال كلّها ليست مؤديةً إلى تحقيق أغراضهم ..

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

[سورة الكهف : ١٠٣-١٠٤]

لم تستقم عقيدتهم ، لم يملكون تصوراتٍ صحيحة عن الكون والحياة والإنسان ، اعتندوا اعتقاداتٍ ضالة ، فضلّت أعمالهم ، هذا معنىٌ من معاني الآية .
والمعنى الآخر :

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾

[سورة الكهف : ١٠٣-١٠٤]

عرفوا الله عزّ وجلّ ، ولكنهم اتجهوا إلى خلقه ، لم تكن معرفتهم كافية ، وحدّوه ، ولكنهم آثروا خلقه عليه ، فوقعوا ، فضلّ سعيهم إما بضلال عقيدتهم ، وإما بمراءاتهم ، وهذا الشرك أيها الأخوة هو الشرك الخفيٌّ ، الذي حذر منه النبي عليه الصلاة والسلام عندما قال :
((إن أخوف ما أخاف على أمتي الإشراك بالله ، أما إني لست أقول يعبدون شمساً ولا قمراً
ولا وثنًا ولكن أعمالاً لغير الله وشهوة خفية))

[الجامع لأحكام القرآن]

ضلّ سعيه في الحياة الدنيا ، وضع أمله في زيد ، وخاف عبيد ، ورجا فلان ، واستحينا من علان ، وعصى أمر الواحد الديان ، هذا هو الشرك ، وما تعلّمت العبيد أفضل من التوحيد ، التوحيد إلا ترى مع الله أحداً ، وألا ترجو غير الله ، وألا تخاف من غير الله ، وألا تسعى لغير مرضاه الله ، وألا تأخذك في الله لومة لائم .

الجهل المركب أن يكون الإنسان في خسارة كبيرة ويظن أنه راجح :

أيها الأخوة الأكارم :

﴿الَّذِينَ ضلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

ظنّ أن أهم ما في الدنيا هو المال ؛ فسعى من أجله ، وبذل من أجله كل غالٍ ورخيص ، ونفسٍ ونفيس ، فلما وصل إلى خريف العمر أدرك الحقيقة المرة ؛ أن المال شيء ، ولكنه ليس كل شيء ، فلما شارف الموت ، رأى أن المال ليس بشيء ، ولكن كل شيء هو طاعة الله عزّ وجل..

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيمًا﴾

[سورة الأحزاب : ٧١]

هذا هو الضلال ، ضلال السعي . ولماذا سماهم الله عزّ جل أخسرؤن مفردها أخسر ، صيغة اسم التفضيل ، قيل : لأن هذا الذي يظن أنه راجح ما كان له أن يفعل شيئاً آخر . من الناس من يدرى ويدري أنه يدرى فهذا عالمٌ فاتبعوه ، ومنهم من لا يدرى ويدري أنه لا يدرى فهذا جاهلٌ فعلمواه ، ومنهم من لا يدرى ويدري أنه يدرى فهذا شيطانٌ فالاحذروه ، ألم يقل الإمام عليٌ كرم الله وجهه : " قوام الدين والدنيا أربعة رجال : عالمٌ مستعملٌ علمه ، وجاهلٌ لا يستكف أن يتعلم ، وغنىٌ لا يدخل بماله ، وفقيرٌ لا يبيع آخرته بدنياه ، فإذا ضيّع العالم علمه ، استكف الجاهل أن يتعلم ، وإذا

بخل الغني بماله ، باع الفقير آخرته بدنيا غيره " لأنهم

﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾

هذا هو الجهل المركب ؛ أن يكون الإنسان في ضلال ويظن أنه على هدى ، أن يكون الإنسان في خسارة كبيرة ويظن أنه راجح ، هذا موقفٌ عصيب .

القرآن كتابنا المقرر و منهجنا القوي :

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ يجب أن نراجع أنفسنا ، دائماً يجب أن نزن أعمالنا بالشرع ، يجب أن نقرأ القرآن لنعرف موقعنا هل نحن على صواب أم على خطأ ؟ يجب أن نتّخذ القرآن مقياساً لنا ، النبي عليه الصلاة والسلام كما وصفه الواصفون قرآنٌ يمشي ، السيدة عائشة رضي الله عنها سُئلت عن خلق رسول الله ، فقالت رضي الله عنها :

((كان خلقه القرآن))

[مسلم عن عائشة]

القرآن كتابنا المقرر ، منهجنا القوي ، الصراط المستقيم ، حبل الله المتين :

((لا يحزن قارئ القرآن))

[الجامع الصغير عن أنس بسند فيه مقال]

لئلا نقع في هذا الوصف الشنيع ، لئلا تكون من هؤلاء :

﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾

[سورة الكهف : ١٠٤]

يا أيها الأخ الكريم ؛ إياك أن تعتقد ، أو أن تظن ، أو أن تقول :رأيي كذا . فإذا كان رأيك مخالفًا للقرآن فمن أنت ؟ من أنت حتى تقول :رأيي كذا في هذا الموضوع ؟ أنت مشرّع ؟ أنت عبدٌ جاءك من خلقك خطاب حينما قال الله عزّ وجلّ :

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾

[سورة الأحزاب : ٣٦]

إذا جاءك أمر الله عزّ وجلّ عليك أن تستسلم له ، لماذا ؟ لأنك آمنت بالله ، لأنك آمنت بخلق هذا الكون ، وهذا أمره ، أن تقول :رأيي كذا ، ولا أرى أن هذه الآية تطبق في هذه الأيام ، هذا اتهامٌ خطير لكتاب الله العظيم ، الله عزّ وجل يقول :

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾

[سورة البقرة : ٢٨٦]

أنت حينما تقول : هذه الآية لا تطبق في هذه الأيام . كأنك تقول : إن الله كلف الناس في هذا العصر شيئاً فوق طاقتهم .

تدبر آيات القرآن و الوقوف على أحکامه :

القضية أيها الأخوة قضيةٌ مصيرية ، ليست القضية أن إنساناً حضر خطبةً واستمع إليها ، وأعجبته وانصرف إلى بيته ، القضية أخطر من ذلك ؛ إنك مخلوقٌ مُكرّمٌ ، إنك المخلوق الأول ، إنك حملت الأمانة ، إن الله عزّ وجل قال لك :

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾

[سورة الشمس : ١٠-٩]

لا ينبغي أن تمر على كتاب الله مرّاً سريعاً ، الله عزّ وجل أمرك أن تتدبره ، أن تكون وقافاً عند أحکامه ، عند آياته ، عند وعده ، عند وعيده ، هؤلاء سماهم الله أخسرین أعمالاً لأنهم ظنوا ..

﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾

[سورة الكهف : ١٠٤]

وهذا غاية الضلال ، غاية العمى ، غاية الإلحاد ، غاية الخسارة ، أن تكون على خطأ وتظن أنك على صواب ، أن تعتقد اعتقاداً زائعاً وتظن أنك المصيب في اعتقادك .

أيها الأخوة المؤمنون ؛ صحيح أن العقل ميزان ، وأن الفطرة ميزان ، والأصح من هذا أن الميزان الصحيح الذي لا يضطرب هو كتاب الله عزّ وجل وسُنّة رسوله ، فإذا تعارضت معطيات ميزانك مع ميزان القرآن فاعلم أن الإنسان في ضلال ، ما هو الضلال ؟ أن يقول لك ميزانك شيئاً مخالفًا لما في القرآن .

الدنيا هم كل كافر و منتهى علمه :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ آية أخيرة - ذلك جزء هم - :
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾

[سورة الكهف : ١٠٥]

﴿سَتُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾

[سورة فصلت : ٥٣]

إذاً الآيات التي بثها الله في الكون ما فكروا فيها ، ولا عرفوها ، والآيات القرآنية التي أنزلها على النبي عليه الصلاة والسلام ما قرؤوها ، ولا تدبروها ..

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾

[سورة الكهف : ١٠٥]

الكونية ، والقرآنية ..

﴿وَلِقَائِهِ﴾

لم يجعلوا الآخرة محطة رحالتهم ، ولا مُنتهي آمالهم ، جعلوا الدنيا كل همهم ، ومبلغ علمهم ..

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبَطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾

﴿وَقَدِيمَنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَباءً مَنْثُورًا﴾

[سورة الفرقان : ٢٣]

أعمال كالجبال ، ولكن لا إخلاص فيها ، لا قربة إلى الله فيها ، لم يُبتغَ بها وجه الله ، رحم الله العالم الذي قال : العمل لا يُقبل إلا إذا كان خالصاً وصواباً ، خالصاً ما ابتغي به وجه الله ، وصواباً ما وافق السنة .

الكافر لا شأن له عند الله عز وجل :

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾

الكونية ما فكروا فيها ، والقرآنية ما تدبروها ..

﴿وَلِقَائِهِ فَحَبَطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾

إما أن المعنى الأول أن أعمالهم سُفلت ، أصبحت خسيسة ، دنيئة ، قذرة ، وإما أن أعمالهم التي ظهرها طيب ذُمرت ، لأن نواياهم ليست كما أراد الله عز وجل ..

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبَطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرَبُّنَا﴾

[سورة الكهف : ١٠٥]

لا شأن لهم عند الله ، قد ترى الرجل العظيم لا يزن عند الله جناح بعوضة ..

﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرَبُّنَا﴾

[سورة الكهف : ١٠٥]

لهم صغارٌ عند الله ، سقطوا من عين الله ، هان الله عليهم فهانوا على الله ، ابتغوا العزة عند الله . دخل على النبي الكريم صاحبِي من فقراء الصحابة ، فقال عليه الصلاة والسلام :
(أهلاً بمن خبرني جبريل بقدومه ، قال : أو مثلي ؟! قال : نعم يا أخي خاملٌ في الأرض علمٌ في السماء))

[ورد في الأثر]

ينبغي أن تكون علمًا في السماء ، ينبغي أن تبتغي عند الله العزة ، وعند الله الرفعة ، ينبغي أن يكون لك مقدّس صدق عند ملكٍ مقتدر ، ينبغي أن تحرّص على ألا تسقط من عين الله ، ولو كنت فقيراً ، ولو كنت معذباً ، ولو كنت واقعاً في مشكلة يكفيك شرفاً ألا تكون ساقطاً من عين الله .. سيدنا عمر رضي الله عنه كان إذا أصابته مصيبة قال : "الحمد لله ثلاثاً : الحمد لله إذ لم تكن في ديني - مهما تكن المصيبة كبيرة - والحمد لله إذ لم تكن أكبر منها ، والحمد لله إذا ألمت الصبر عليها ."

أيها الأخوة المؤمنون ؛ هذه الآية اقرؤوها في أواخر سورة الكهف ، وتذبّروها ، واعملوا بها .. حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالهم قبل أن توزن عليكم ، واعملوا أن ملّاك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا فلنتحذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأماني .

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولِي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسولُه ، صاحبُ الخلق العظيم ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الأوعية الدموية :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ يحوي جسم الرجل الذي يزن ستين كيلو غراماً خمسة لترات من الدم ، تجري في شبكةٍ مغلقة من الأوعية ، طولها مئة وخمسون كيلو متراً ، من شرائين وأوردة في جسم الإنسان . غزاره الدم خمسة لترات في الدقيقة ، تجري كل دقيقة في هذه الأوعية ، فإذا بذلت جهداً عالياً ، يتدفق في هذه الأوعية ثمانية ثمانية لترات ، ويحوي كل مليمتر مكعب من هذا الدم خمسة ملايين كرية حمراء ، وتلد معامل الكريات في كل ثانية مليونين ونصف مليون كرية ، ويموت في كل ثانية مليونان ونصف . ويحوي كل مليمتر مكعب من هذا الدم سبعة آلاف كرية بيضاء ، مشكلاً بمجموعه جيشاً زودك الله به كي يدافع عنك ، هذا الجيش هو قوى المناعة ، فالكريات البيضاء ؛ بعضها يستطيع ويعرف طبيعة الجرثوم ، وبعضها يصنع المصل ، وبعضها يحمل هذا المصل ليهاجم به الجرثوم ، وأنت لا تدرّي ، وما مرض الإيدز إلا خللٌ في هذا الجهاز - جهاز المناعة - .

إذا جرح الإنسان يلتئم جرحه ، وهو لا يدرى لماذا التام الجرح ، حيث يحدث الالتئام بسبب وجود في كل ميليمتر مكعب من هذا الدم ثلاثة ألف صفيحة دموية تأتي وتسدّ الجرح ، فكلما جرح الإنسان جاءت هذه الصفيحات الدموية ، وسدت مكان الخل ، وأنت لا تدرى ، ولو أن هذه الصفيحات تعطلت ، أو توقف نموها ، أو توقف توالدها ، أو قلت كميتها ، لمات الإنسان من جرح يسير ، لأن هذا الدم يجري ويجري حتى ينتهي دم الإنسان ، يقول ربنا عزّ وجلّ :

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبَصِّرُونَ﴾

[سورة الذاريات : ٢١]

والحمد لله رب العالمين